محاضرة

المشروع الفكري لعبد الله العروي

سيرته

عبد الله العروي مفكر مغربي من مواليد 1933م، بمدينة أزمور المغربية ، كانت عائلته ذات سلطة ونفوذ في المدينة ، تابع تعليمه بالرباط ثم بجامعة السوربون وبمعهد الدراسات السياسية بباريس. حصل على شهادة العلوم السياسية سنة 1956 وعلى شهادة الدراسات العليا في التاريخ سنة 1958 ثم على شهادة التبريز في الإسلاميات عام 1963. وفي سنة 1976 قدم أطروحة بعنوان "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية: 1830–1912" وذلك لنيل دكتوراه الدولة من السوربون. يشتغل حاليا أستاذا جامعيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

مساره الفكري:

بدأ عبد الله العروي النشر سنة 1964 تحت اسم مستعار (عبد الله الرافضي) حيث نشر نصا مسرحيا تحت عنوان "رجل الذكرى" بالعدد الأول من مجلة أقلام، درس عبد الله العروي المرحلة الابتدائية والإعدادية في أزمور، وحصل على البكالوريا بالرباط عام 1953.

ثم سافر إلى فرنسا حيث درس العلوم السياسية بمعهد الدراسات السياسية في باريس، وتحصل على شهادة البكالوريوس، واصل دراسته العليا ونال دبلوم السلك الثالث في التاريخ عام 1958، وحصل عام 1963 على شهادة "التبريز" (أستاذ مبرّز) في الإسلاميات.ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأميركية– واشتغل مدرسا بين سنة 1967 إلى 1972 ،مكنه هذا بالإطلاع أكثرعلى الثقافة الأنغلوسكسونية التي كان أساسها التجريب والبراغماتية ،ليعود إلى باريس حيث تحصل عام 1976 على دكتوراه الدولة عن أطروحة "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية: 1830–1912" بجامعة السوربون ،وبحلول سنة 2000 تقاعد عن التدريس من جامعة محمد الخامس في الرباط وتفرغ للكتابة و البحث .

أهم أعماله

ما عرف عن العروي أن(كتاباته تتميز بغناها النظري ،وكفاءتها التركيبية ،وهندستها المرتبة في إطار من الأحكام و التناسق ،اضافة إلى استثمارها لمعارف ومعطيات ووقائع مقارنة لا حصر لها) [1]،و أهم مؤلفاته :

- الإيديولوجيا العربية المعاصرة، تعريب محمدعيتاني،وتقديم مكسيم رودنسون،1970
- العرب والفكر التاريخي1973,
- اليتيم :رواية, 1978
- مفهوم الإيديولوجيا، 1980–مفهوم الحرية1981 –مفهوم الدولة1981.
- ثقافتنا في منظور التاريخ1983,
- مجمل تاريخ المغرب1984,
- الفريق، رواية, 1986
- مفهوم التاريخ1992 – مفهوم الحرية
- خواطر الصباح – يوميات من ثلاثة أجزاء–
- ترجمة كتاب «تأملات في تاريخ الرومان، أسباب النهوض والانحطاط (2011) لـ «مونتسكيو»،
- كتاب ترجمة «دين الفطرة» (2012) لـ جان جاك روسو.

منهجه:

يهتم عبد الله العروي بشكل أساسي بمسألة المنهج عند معالجته لقضايا ومشكلات الفكر العربي ،أي أن توجهه هو توجه معرفي (إبستيمولوجي) وليس وجودي (أنطولوجي)،والمنهج المعرفي عند عبد الله العروي يرتكز على جانبين:الأول هو الجانب التاريخي (أو التاريخاني) "يستعمل بكيفية أوسع مواد التاريخ العربي" في هذا يقول العروي: (صدر كتاب الإيديولوجيا العربية المعاصرة سنة 1967، وكان يعبر عن دوافع تماثل إلى حد كبير دوافع البيطار، إلا أنه عكس اهتماما أكبر بمسألة المنهج واستعمل بكيفية أوسع مواد التاريخ العربي... جاء في المقدمة توضيح لمفهوم الأدلوجة: "يستعمل هذا البحث كلمة أيديولوجية في معان ثلاث :**صورة ذهنية** مفارقة (غير مسامتة) لأصلها الواقعي تبعا لأدوات إدراك غير ملائمة.

[1] كمال عبد اللطيف ، الحداثة و التاريخ ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، د.ط ، سنة 1999، ص 127 .

نظام فكري يحجب الواقع لصعوبة أو استحالة تحليل ذلك الواقع، **بنية نظرية** مأخوذة من مجتمع آخر توظف كنموذج يقود الممارسة ويتحقق أثناءها")[1].

والجانب الآخر لمنهج عبد الله العروي هو جانب تأسيسي ،فالفكر العقلي يتأسس على مفاهيم محددة واضحة يمكن الاعتماد عليها من أجل تكوين باقي البناء العقلي. ومثل هذا البناء ينسب في الغالب إلى ديكارت الذي يعتبر أول التأسيسيين. ويبرز جليا في سلسلة كتب مفاهيم (مفهوم الإيديولوجيا، مفهوم الحرية، مفهوم الدولة، مفهوم التاريخ، مفهوم العقل)يقول العروي عن هذا : (إننا لا نبحث في مفاهيم مجردة لا يحدها زمان ولا مكان، بل نبحث في مفاهيم تستعملها جماعة قومية معاصرة هي الجماعة العربية. إننا نحلل تلك المفاهيم ونناقشها لا لنتوصل إلى صفاء الذهن ودقة التعبير وحسب، بل لأننا نعتقد أن نجاعة العمل العربي مشروطة بتلك الدقة وذلك الصفاء)[2].

دعوة العروي تثير مشكلة القطع/القطعية ،فتاريخانيته ترى أن الحاضر قرين التخلف، وبالتالي فهو فاقد لأي دلالة، لأنه لا معقول ومقفر،ولا يمكن حل مشكلة هذا الحاضر بالماضي/التراث. فمنهجية العروي تقوم على رفض حل مشكلة الحاضر بالماضي، إذ إن إشكالية التأخر التي نعاني منها تجد حلها في المستقبل، والذي هو مرة أخرى أوروبا عصر التنوير،يقول العروي (إن المنهجية الحقة في نظري هي التي تواكب التحليلات العينية لموضوعات معينة،وإذا قبلنا بالمنهج التاريخي فإن قيمته لا تظهر إلا من خلال تشغيله لتفسير نقط معينة في تاريخ المجتمع أو تاريخ الثقافة)[3]، وليس في هذا التوجه أي اغتراب، فمنهجية العروي ترفض الفصل بين الغرب والشرق، فهناك شيء من الغرب في الشرق، وهناك أيضا شيء من الشرق في الغرب. وهذه المنهجية لا تعتمد على منطق الهوية، بل على منطق حضاري وكونية الحضارة.

مشروعه الفكري :

لقد كانت البداية عند الدكتور عبد الله العروي هي التاريخ، والتاريخ يرتبط بالناحية المنهجية، باعتباره علما، وبالناحية الواقعية باعتبار موضوعه ،وكان لهذه البداية انعكاسا على فكره وفلسفته ،يعرفه

---

1 عبد الله العروي ،مفهوم الإيديولوجيا ،المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الخامسة،سنة 1993، ص 122-125

2 عبد الله العروي ،مفهوم الحرية ،المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الخامسة،سنة 1993، ص 5

3 بنسالم حميش ، معهم حيث هم (حوار مع العروي)، بيت الحكمة ، دار البيضاء ، سنة 1988 ، ص 39

إبن خلدون: " بأنه الخبر عن الاجتماع البشري الذي هو عمران العالم ،وما يعرض لطبيعة العمران من الأحوال ،وما ينشأ عن ذلك من الملك والدولة ،وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش،والعلوم والصنائع وما سوى ذلك "1.

حينما صار التاريخ يعكس قوة قاهرة تحكم المصائر تعطل لحظتها دور المؤرخ، " لكن كيف صار مثل هذا الوضع، أي كيف إنقلب البحث في التاريخ من بحث إيجابي يساعد على الفهم و إستيعاب الأحداث إلى بحث ذا دلالة سلبية يحبط و يشل قدرات الباحثين "[2] ،فالتاريخ شأن موضوعي مستقل عن ذات الفرد،هذا ما تؤكده التاريخانية، ومن هنا تتولد تعريفات تتعلق بالفهم، والتمثل والتجربة والإنجاز وأخيرا الحقيقة.

العروي والمنهج التاريخانية

وعليه يقدم لنا العروي التاريخانية على أنها نزعة تدعو إلى استيعاب منطق العصر وحتمية التعلم من الثقافة الغربية، فضلاً عن مجاوزة مما يدعوه بعضهم :الاختيارات السلفية – فهي نزعة قادرة على تفكيك معضلة النهضة والتقدم وتجاوز راهنية الاستغراق في البنية التراثية، عن طريق تبني إستراتيجية القطائع/القطيعة التاريخية مع الماضي ،ويعد العروي واحداً من أصحاب المشاريع الفكرية اتكاءً على منهجه الخاص المدعو :التاريخانية ،التي حاول أن يؤسس لها في الفكر العربي المعاصر، فقد برزت معالم هذه النزعة في كتبه التي ألفها تباعاً وجاءت معبّرة عن هذه النزعة التاريخانية المتبناة كمنهج قمين لفهم الواقع العربي، والقبض على أوليات طرائق التقدم والتجاوز.

يبدو ضروريا الوقوف لحظة محاولتنا البحث عن الموضوعية في تناول بالدراسة مفهوم التاريخانية Historicismeمن متوقع علمي بحث، الوقوف عند التحديات المتعددة التي عرضها ولا يزال مفهوم التاريخ Histoire باعتباره العلم الذي يبحث في حياة الأمم، والمجتمعات والعلاقات التي تقوم بينها فلفظ التاريخ وإن تعددت معانيه فإنه بإمكاننا أن نقدم له معنا آخر موضوعيا يميل إلى الإجماع و الدقة، " إن التاريخ لفظ ينحدر من اللفظ الإغريقيHistoria ،وهو بمثابة الدراسة الوضعية والانتقائية للموجودات

1الحنفي عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 2000، ص176.

2عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الرابعة،سنة 2005 ،ص 349.

الطبيعية (التاريخ الطبيعي)، أما المعنى العام: فهو دراسة الحاضر سواء كان بشريا، طبيعيا، فلكيا، كونيا ...إلخ، وبإمكاننا النظر إلى تاريخ الجنس البشري عموما كتحقيق لمخطط خفي للطبيعة غايته إنتاج مؤسسات[1] .

يبدو العروي حريصا على أن يلفت الانتباه إلى تيارين مهمين في قراءة التاريخ، وهما بالطبع: الوضعانية والتاريخانية، إذ وعلى الرغم من كونهما متميزين إلا أنهما لا يمكننا بقول لعروي أن نقرأ التأليف التاريخي من منطلق أو أساس هذه الثنائية، ويحاول أن يبحث في عمل مفهوم التاريخ .

التاريخانية النشأة و التطور

تمتد أصول التاريخانية إلى القرن التاسع عشر إذا استعملت رغم الإعلان عنها لأول مرة سنة 1879 من طرف كارل فرنز وكان المراد منها التعريف كما يشير العروي بفلسفة فيكو Véco الذي أكد أن العقل البشري لا يمكنه إدراك إلا ما أبدعه وقام بصناعته، وظهر هذا التيار فيما بعد كاتجاه يقوم ضد كل تقليد Tradition، فكان ثورة لأجل التغيير و التطور لا لأجل السكون والركود المميز للتقليد، باعتباره منهجا عاما يتحكم بقول العروي :" في العقل والشعور، والسلوك ،هو الوسيلة لمحو الفوارق والمميزات الناتجة عن نفي الأحوال وتعاقب الأزمنة يعني التاريخ في نطاق التقليد الفكر و التذكير أي الرجوع إلى الأصول فتنحل الأخبار في أولياتها و تبدو النتيجة أقل أهمية (فائدة) حقيقية من الأصل والمدى "[2].

مفهوم التاريخانية

التاريخيةHistorisme شيء والتاريخانيةHistoricismeشيء آخر، الأولى طريقة للبحث في حين أن الثانية تقرر حتمية التطور،تنفي حرية الفرد، تتحاشى الأحكام الأخلاقية، تؤله التاريخ تخص دولة أو طبقة أو فرد وتدعو إلى الرضوخ والانقياد ،إن التاريخانية هي فلسفة كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ هو وحده العامل المؤثر في أحوال البشر،بمعنى أنه وحده سبب وغاية الحوادث، فيوم كان التاريخ مستقل عن إرادة الأفراد لحظتها كان مزدهرا، جاعلا منها حليفه الرئيسي.

1 Russ (J), Budot (C) : Dictionnaire de la philosophie, paris, Bordos, 2004, p 174.

[2] عبد الله العروي ،مفهوم التاريخ ،مصدر سابق، ص 347.

يكتنف مفهوم التاريخانية من حيث الترجمة داخل اللغة العربية نوع من التوتر ولا استقرار، فإذا كان عبد الله العروي يترجم لفظة Historicisme بالتاريخانية، فإن الكثير من المفكرين العرب ساروا على خياراته. ولكن البعض فضلوا أن يترجموه داخل اللغة نفسها، بمعنى آخر، إلى النزعة التاريخانية، هذا ما يذهب إليه خاصة أصحاب المفاهيم و القواميس العربية، ففي المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة لمؤلفه: عبد المنعم المفتي نجده يقدمها كذلك محددة في معناها بأنها:" رأي النزعة التاريخانية Historisme، منهج ونظرية شاملة في الحياة ،فسرها برونيتس ومانايم و دالتاي و ريكرت و كروتشيه بأنه وجهة النظر التي تنظر العالم بوضعه مجال فعل الإنسان بإعتباره الكائن الوحيد الواعي، ومن ثم لا يكون هناك مجال للحديث عن أي معرفة أو خبرة إلا بالنسبة للإنسان، فالإنسان هو الكائن التاريخي الوحيد وفي المعجم نفسه نجد إمتداد المفهوم مفتوح على لفظتين مهمتين هما: التاريخ Histoire، Geschichte وتاريخية Historicité, Geschichtlichkeit.[1]

تعامل مع العناصر التي شكلت ولا تزال تشكل عنصرا مهما داخل صياغته أو بلورت الوعي التاريخي عند العروي، بحيث تمكن من تناولها بصورة عقلانية موضوعية، يبدو أن العروي يقول سبيلا : " واع كل الوعي إذا بالسياق الفكري التاريخي والأبعاد الفلسفية والمنهجية لمفهوم التاريخانية التي تبلور لديه تدريجيا وخاصة في كتابات المرحلة الوسطى(المرحلة الفلسفية)"[2].

ومن هذا المنطلق يتبين لنا مدى تشبث العروي بالتاريخانية كمذهب ونظرية علمية لا تجعل من نفسها دوغمائية مغلقة ،بل هو يقبل بها عندما كانت باستمرار تعرف تجددها الدائم ،إلى درجة أنها لم تعرف التطور لولا تلك الانتقادات التي وجهت إليها من قبل العديد من الفلاسفة والمؤرخين من أمثال كارل بوبر Popper،وهوسرلHusserl وألتوسيرAlthusser، فالتاريخاني حسب العروي مقتنع بأن التاريخ محكوم بقوانين ثابتة تسير به في اتجاه معلوم ومرسوم أي أنه يتجه نحو غاية محققة.

أسس المنهج التاريخاني

تقوم التاريخانية عند العروي على الاهتمام بالممارسة وبمنطق الفعل والعمل بدل منطق الخطاب والقول، الذي كثيرا ما يهيمن ولا يزال على ثقافة المجتمعات العربية الإسلامية عموما، لهذا يرفض العروي

---

1 عبد الله العروي ،مفهوم التاريخ ،مصدر سابق، ص 349

2 محمد سبيلا: مفهوم التاريخانية عند العروي، مرجع سابق، ص 51 .

" كل إلتفات إلى مثل هكذا منطق، ملتفتا بدل ذلك إلى العمل والفعل البراكسيس وغالبا ما يقيم تعارضا بين منطق الفعل الذي يدعوه بـ:عقل الفعل،ومنطق التعبير والخطاب الذي يدعوه بـ:عقل الاسم " [1].

فالتاريخانية كما يقول العروي في كتابه(العرب والفكر التاريخي) : " ليست مرحلة تاريخية فقط من التطور الفكر التاريخي ،بل هي حية تبعثها دائما ظروف مشابهة التي واكبت ظهورها أول مرة ،لكنها في نفس الوقت ليست بجامدة ،تتطور بتطور الظروف عندما تقوم الثورة وتشرع في تحقيق أهدافها ،تتغير وضعية تلك الماركسية وتتغير خصائصها " [2].

يعتقد العروي أن فلسفة ماركس هي فلسفة تاريخانية بامتياز ويدرج ماركس ضمن كوكبة المفكرين الذين يندرجون في سياق هذا التيار الفكري الجارف الذي يضم ميكيافيلي ،فيكو ،هورد ،هيغل ،دالتاي ،وفرويد وكروتشيه ،الماركسية التي يقف عندها العروي هل تلك التي تحدث دائما تجديدا على مستوى قراءتها،إن الخروج من التخلف والتأخر التاريخيين لن يتم إلا بتبني المجتمعات العربية للتاريخانية لكونها رؤية تحرك وتفعل أرادة العمل وإرادة النهضة والتحرر والتقدم والترقي،لا يحصل إلا إذا نظرنا إلى الأمام حيث المستقبل وأن نكف عن النظر إلى التراث أو التقليد لاعتباره منبع نهوضنا الحضاري، وعليه فالأخذ بالماركسية الموضوعية، طبعا بعيدا عن الجعل منها اعتقادا دوغمائيا، وإنما الأخذ بها كإستراتيجية عمل تكمن في تبني الرؤية النقدية لمفاهيم عصر الأنوار والتي شكلت مفاهيمه بنية فهمنا ووعينا العربي ولأجل بلوغ هذه اللحظة يقترح علينا العروي " خطة مستقبلية يكون سبيلها تجديد وعينا بالتاريخ:

1- إحياء التراث.
2- إستيعاب منطق الحضارة العصرية.
3- تحقيق تنوع يعترف به العرب و غير العرب "[3].

---

[1] العروي (ع) مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص357 و 364.

2 عبد الله العروي ،العرب و الفكر التاريخي، دار التنوير، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1985، ص 193.

3 عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1983،ص 160، و أنظر .... عمل "ابن شرقي بن مزيان' التاريخ و المصير ص 107.

إن مشروع العروي الحامل لأنوار العقل العربي قادر على بلورة هذا النوع من الجذرية التي تمكننا من المشي خطوات إلى الأمام دون الالتفات إلى الماضي الذي أسرنا وسجننا داخل دوغمائيات متعصبة متصارعة ومتنازعة، ما تأكد لنا أن مشروع العروي يندرج ضمن مشروع إيديولوجي قائم أساسا على التجارب السياسية والنظرية والعملية محددة تجارب إقليمية (مغربية ، مغاربية) وقومية (عربية) وحتى تجارب أخرى كونية (دولية) ،إن دعوة العروي إلى إقامة الحداثة مشروطة أساسا على الحوار القائم على أخلاق التسامح والغفران مع من يختلف معنا دينيا ولغويا وحضاريا .

قائمة المصادر و المراجع

المصادر

- عبد الله العروي ،مفهوم الإيديولوجيا ،المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الخامسة،سنة 1993
- عبد الله العروي ،مفهوم الحرية ،المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الخامسة،سنة 1993
- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الرابعة،سنة 2005
- عبد الله العروي ،مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي،بيروت، الطبعة الأولى، 2007،
- عبد الله العروي ،العرب و الفكر التاريخي، دار التنوير، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1985
- عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1983 ، و أنظر .... عمل "ابن شرقي بن مزيان' التاريخ و المصير

المراجع

- كمال عبد اللطيف ، الحداثة و التاريخ ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، د.ط ، سنة 1999
- بنسالم حميش ، معهم حيث هم (حوار مع العروي)، بيت الحكمة ، دار البيضاء ، سنة 1988
- الحنفي عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 2000
- محمد سبيلا: مفهوم التاريخانية عند العروي، مرجع سابق

معاجم

[1] Russ (J), Budot (C) : Dictionnaire de la philosophie, paris, Bordos, 2004,